

# يَا عَرَبَ وَيَا مُسْلِمِينَ ... أَنْتُمْ مَنْ اسْتَعْبَدْتُمْ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدْتَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا.

O' Arabs O' Muslims, ... You made people slaves who were born free

April 27, 2007  
Arabic

## بقلم الكاتب

## صفوت جلال الجباري

قد يتصور من يتابع قراءة هذه المقالة بانها مضادة للدين الاسلامي او القومية العربية لما فيها من دلالات عن مدى سوء الاستغلال للمفهومين.. واعنى بهما مفهوم الدين (كعامل ضروري تاريخيا وحضاريا وفكريا ونفسيا لكل الشعوب والامم في احدى مراحل تطورها) ومفهوم القومية ( كهوية اعتبارية لكل من ينطق بلسان مختلف ويجمعه وبنى قومه عوامل التراث واللغة والتاريخ الثقافي والسياسي والاقتصادي المشترك).. ولكننا هنا بصدد واقع آخر مرير للأقوام والشعوب التي كانت ولا تزال معظمها اسيرة وضحية الاستغلال السئ للدين الاسلامي والقومية العربية اللتين لم تستطعا ان توفيا بوظيفتيهما الإنسانيين المفترضتين في نشر المحبة والسلام والوئام والوفاق بين الشعوب الخارجة عن اطاريهما الديني او القومي. او على الاقل تطوير المفاهيم المبدئية للدين والقومية نحو آفاق تأخذ بنظر الاعتبار مصالح الآخرين.. كحرصها على مصالحها الذاتية ومنافعها الحياتية.. وبالرغم ادعائيهما عكس ذلك كاساليب نظرية وافتراضية .

مع بزوغ فجر الاسلام وبدء نشر الدعوة خارج جزيرة العرب قبل اربعة عشر قرنا.. ايذانا ببدء فصل جديد في حياة الشعوب والامم التي سكنت هذه المنطقة.. باطلالة الدين الجديد.. بقيمه وتعاليمه ( السمحاء ) من جهة.. وصهيل خيوله وقرقعة سيوفه ورماحه من جهة اخرى.. ومبتدئا معهم فصل آخر من المعاناة والمسح القسري للهوية الخاصة.. وللمعتقدات التي كانت سائدة للشعوب والاقوام ولقرون عديدة من الزمان.. ففي الرقعة الجغرافية المحصورة بين شواطئ الاطلسي وتخوم الصين.. لم يكن دخول أو بالأصح إدخال كل هذه الشعوب والأقوام الى الدين الجديد بالصورة الوردية التي نقلتها لنا كتب التاريخ.. والتي غالبا ما تكتب وكما هو معروف بلسان المنتصرين والفائزين.. الا ان الحقيقة المجردة والمرّة وما يقرأ من بين سطور هذه الكتب وما أورردتها الاحداث الحقيقية.. تبين لنا وبوضوح أنها كانت احتلالا عسكريا وثقافيا واقتصاديا وتراثيا.. اتخذت منحى شتى فى اساليبها.. بدءا بالاقناع وانتهاء بالافناء.. وبدءا بالكلمة الطيبة وانتهاءا بحد السيف.. واحتلال الارض وهتك العرض وسبى النساء وفرض الجزية والخراج.. وكانت عملية طويلة المدى استغرقت عدة قرون حاولت خلالها السلطة الدينية الجديدة خلق امة جديدة باسم امة الاسلام.. الذى شيع بأنها فوق القوميات والطوائف وافضل من المعتقدات والاديان السائدة بين تلكم الشعوب.. ولكنها فى حقيقتها وجوهرها كانت ولا تزال تكريسا لثقافة جزيرة العرب وقيمها وعاداتها وتقاليدها ولغتها التي تم فرضها فرضا على هذه الامم فى الدنيا.. والتي من المفترض ان تلاحقهم حتى بعد الممات.. (لان لغة اهل الجنة هى اللغة العربية وتقاليدها هى التقاليد البدوية فى الرغبة الجامحة بامتلاك الجوارى والغلمان والتمتع بالخيرات والمناظر الخلابة الغائبة من الصحراء العربية الفاحلة)!

وحيثما بدأت هذه الدولة بالتوسع اثناء ما عرفت بالفتوحات الاسلامية.. والتي كانت فى واقع الامر غزوات حربية شرسة بمعنى الكلمة.. والتي لم تفرق بين مقاتل وطفل وامرأة وعجوز.. فكانت اعادة ونفيا للأخر الغير المسلم (الكافر).. واستحلالا لدمه وارضه وعرضه وماله.. ووفق توجيهات وارشادات وخطب دينية من قمة الهرم السياسى للدين والدولة.. فما ان النبى محمد يُعرّف المسلم الغير العربى بالشكل التالى: (من تكلم العربية فهو عربى !!).. (المكتبة الإسلامية - كنز العمال) ج ٧ ص ٤٦.. وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٠ و حياة الصحابة ج ٢ ص ٥٢.. وقوله: ( أيها الناس.. إن الرب واحد والاب واحد وليست العربية باحدكم من اب ولا

ام.. وانما هي اللسان.. فمن تكلم العربية فهو عربي!!.. واذا امعنا النظر في هذه الأحاديث النبوية نجد جليا ان اساطين العروبة بعد الف واربعمائة سنة.. من امثال ميشيل عفلق.. وساطع الحصرى وغيرهما.. لم ياتوا بجديد فى اطروحاتهم القومية الشوفينية.. بل كان سر اعجابهم بمحمد ورسالته هو مطابقته مع افكارهم العنصرية.. التى كانت ولا تزال آثارها المدمرة تعصف بكيانات دول.. بل وحتى ما سُمى بعدئذ (بالجامعة العربية) تصرُّ والى يومنا هذا باعتبار كل مواطنى دولها قاطبة.. جزءا من الامة العربية المباركة دينيا والمفضلة عرقيا!!.

وفى خطبة للخليفة عمر ابن خطاب ثانى الخلفاء الراشدين.. والذى فى عهده تمت اغلب الفتوحات فى العراق والشام وشمال افريقية.. يقول فيها: (الابعون الله مع الإيمان بالله ورسوله.. فأنتم مستخلفون فى الأرض.. قاهرون لأهلها.. نصر الله دينكم.. فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان.. أمة مستعبدة للإسلام وأهله.. يجزون لكم.. يُستصفون معايشهم وكدائهم وشرح جباههم.. عليهم المؤونة ولكم المنفعة.. وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته فى كل يوم وليلة.. قد ملأ الله قلوبهم رعبا.. فليس لهم معقل يلجؤون إليه.. ولا مهرب يتقون به)!. وتطبيقا لهذه المفاهيم كانت الحروب تقاد والبلدان تفتح باسم الدين الحنيف.. ولكن بايدى قادة عسكريين كان همهم الاول.. كم من الاموال يجمعون وكم من الجوارى الاسرى يجلبون.. فعلى سبيل المثال: إن موسى بن النصير رجع من غزواته فى شمال أفريقيا والأندلس يجر وراءه ثلاثمائة ألف أسير.. منهم ثلاثين ألف عذراء.. وإنه أرسل خُمس العذارى إلى الخليفة فى الشام.. لأن الآية تقول: "واعلموا أن ما غنمتم من شئ.. فإن لله خُمسه والرسول!!".

وليس من المعقول بأن أولئك العذارى وقعن فى الأسر طوعاً واختياراً.. فإن من المؤكد المُجاهدين الفاتحين لا بد قد خطفوهن من البيوت.. بعد أن قتلوا رجالها ونهبوا ما فيها.. فليس من المعقول أن يذهب المجاهدون إلى بيوت المدن المفتوحة فيطرقون الباب ويقولون: "أعطونا عذراء فى سبيل الله".. إن سبى كل فتاة وراءه قصة طويلة من النهب والسفك وانتهاك الحرمات!!..(ابن الأثير .. الكامل، ج٤ ص ٢٧٢/ نقلاً عن د. على الوردى.. وعاظ السلطين، ص ٢٠٩) انظر الدكتور كامل النجار (الدولة الإسلامية بين النظرية والتطبيق).

والنتيجة الطبيعية والحتمية لذلك اطروحات.. وتطبيقاته فى الواقع الميدانى وتأثيره على الحياة والمصير الذى كانت تعيشه هذه الاقوام.. هو حتما النقتيل والتهميش والاستعباد.. والاضطهاد الدينى والقومى المزوج.. حيث فرضت عليها الاول: (الدين الاسلامى).. "تعلم لغة الجنة العربية اجبارا".. وطمست الثانى: (القومية العربية).. "تراثها وعاداتها وتقاليدها فى بودقتها اكرها".

وما جاءت بها دساتير اغلب الدول (العربية) الحديثة ايضا الكلام المزوق والمنمق عن المساواة والحقوق.. والتى فى واقعها هى واجبات مفروضة دون حقوق واضحة للقوميات الغير العربية.. او حتى تجاهل الانتماء او الحرمان من حقوق المواطنة الحقيقية الموصوفة والتميزة وتحت يافطة (الوطن الواحد والشعب الواحد او الامة العربية الواحدة من المحيط الى الخليج)!

وهكذا جاء الاسلام غازيا وفتاحا لهذه البلدان شاهرا سيفه المسلول بيد.. وحاملا قرآنه العربى الوديع باليد الاخرى.. مكتسحا امامه كل الحضارات القائمة وماسخا كيانات الشعوب وتاريخها تحت راية الاسلام الدينى.. ولكن بلباسه العربى القومى.. ومن يومها ارتبط اسم الاسلام بالعروبة وتم على ضوئها تاسيس ما عرف فى التاريخ باسم (الحضارة العربية الاسلامية).. فى اكبر عملية سطو على حضارات عريقة ضربت جذورها فى اعماق التاريخ.. واسست لعجائب الدنيا القديم فى فنون العمارة والبناء.. ناهيك عن الفلسفة والاداب والفنون والصناعات المعروفة آنذاك.. ولتجبر كل شعوبها بالانضواء تحت رايتها مكرهة مجبرة.. او ملاقاتة المصير المحتوم فى الابداء والقتل تحت مسميات مقدسة وبنصوص ثابتة بتصنيف الآخرين كفارا.. توجب اخضاعهم او ابادتهم..... تعاليم محمدية وآيات قرآنية لا تقبل التفسير والتأويل او التغيير.. وكان شعار (اسلم تسلم) الشرعية السائدة المعولة بها فى كل الاحوال.

ففى وادى الرافدين ابصرت الحضارة البشرية النور.. كانت هناك حضارات سومر وبابل واكد ولآلاف السنين.. والتى علمت البشرية اصول الكتابة والقانون والفنون والاداب والعلوم.. وفى وادى النيل منيعا ومصبا كانت هناك حضارة فرعونية وافريقية عظيمة.. والتى اتحتف البشرية بفنونها المعمارية وابداعاتها فى ميادين الحياة الاخرى.. كالعلوم والكتابة والتعدين والصناعة.. اضافة الى الفلسفة وعلوم الفلك.. ما جعلت مديبات تطورها لغزا محيرا لعقول البشر الى يومنا هذا.. وفى بلاد الشام واورشليم وشمال افريقيا كانت حضارات الرومان والاغريق

اليونانيين والفينيقيين.. متجذرة في ربوعها بعلمها وفلسفتها.. اضافة الى اديان كبيرة قائمة.. ومنها الديانتان اليهودية والمسيحية.. اللتان شذبتا شعوب المنطقة نحو المفاهيم الحضارية بتعاليمهما السحاء.. ونشرتا مفاهيم انسانية متطورة نسبيا قياسا الى تلكم الازمان.. وفي كردستان وبلاد فارس كانت هناك حضارات الميديين والساسانيين واقانيم زرادشت العظيم.. التي اوصلت نواة فلسفتها العميقة الى بلاد الهند والسند والصين.. ومنها نشأت الديانات الهندية والصينية العظيمة.. وحينما تمدد الحكم الاسلامي ليشمل كل هذه الاصقاع الغنية بتراتها الانساني لم تبدأ ما سميت بعدئذ بالحضارة العربية الاسلامية من العدم بل بالعكس تماما.. وجدت ارضية جاهزة لحضارات عظيمة قائمة.. فبدأت تترجم وتقتبس وتتقمص منها ما تشاء وتنشئ على انقاضها ما سميت بالحضارة الاسلامية.. التي تطبعت بالطابع العربي الخالص واصبحت تعرف بعدئذ بالحضارة العربية الاسلامية.. اى ان الحضارة العربية الاسلامية هي المدينة ( بفتح الميم) لكل هذه الحضارات التي كانت سائدة وليس العكس.. ولولا الحكم الاسلامي.. لما بقي للعرب في جزيرة العرب الجرداء وبعض الاقاليم الصحراوية المحيطة بها (والفقيرة في مواردها الاقتصادية والبشرية) شيئا يذكر الآن.. وكان مصيرها النسيان والاضمحلال.. حالها حال الكثير من الحضارات المشابه لها زمانا ومكانا.

وحيثما نشأ الفكر العروبي القومي في اوائل القرن الماضي.. كرد فعل لسقوط رموز تلك الحضارة الدينية والقومية المزدوجة على ايدي المستعمر الاوروبي.. حاول ان يستنهض الهمم المنهارة ويللم شتات الحضارة الاقلة الممزقة والمتهرئة.. بالاستناد الى الاسلام ومجده الزائل.. ولكن من منظور قومي عروبي يدعي الحدائة والرقى والسعى للحاق بركب الامم.. التي اخذت بزمام التطور وبالاخص الامم الاوروبية (والتي ما وصلت الى ما وصلت اليه الا بعد ان ابعدت شبح الدين عن مسيرتها.. وهذا ما نتمناه للقومية العربية ايضا).. والتي باتت اساطيلها وجيوشها تدق ابواب العواصم العربية الواحدة تلو الاخرى.. بدءا من شمال افريقيا وانتهاءا بالعراق والشام.. فبادر ممثلوا القومية العربية ودعاتها بالتحالف المشين مع المستعمر الكافر تحت غطاء ما سمي (بالثورة العربية).. لاسقاط الخلافة الاسلامية الوحيدة الغير عربية.. (والتي استطاع آل عثمان المغول من اختطافها من العرب ليوسفوها ايضا لصالح القومية التركية ويؤسسوا الامبراطورية العثمانية).. ففقدت بذلك مصداقيتها الدينية واثبتت في نفس الوقت تبعيتها الذليلة للمستعمر بدلا من النهوض بهويتها القومية الخاصة ومستندة الى قواها وامكانياتها الذاتية لبناء دول جديدة ملائمة لروح العصر ومسايرة للتغيرات الدولية والاقليمية والسياسية والاقتصادية التي كانت تتحكم بالعالم آنذاك.. وكما فعلت الدول الاوروبية في نهضتها بعد الثورة الفرنسية في القرن السابع عشر واستمرت في مسيرتها المظفرة والى يومنا هذا.. نعم لم يجد احفاد الرسول محمد من بنى هاشم بدا من التحالف مع الكافر المستعمر ضد الخلافة الاسلامية العثمانية.. وذلك طمعا بفتات الغنيمة وحصاة متواضعة من اشلاءها والتي تم تقسيمها وفق مصالح القوى الاستعمارية من جهة وبين اعوانها من الوجهاء العرب من جهة اخرى.. وبمنطق (تريد ارنب خذ ارنب وتريد غزال خذ ارنب).. اما الشعوب والامم التي كانت ترزخ ولقرون عديدة تحت نير الخلفاء المسلمين من العرب تارة ومن الترك تارة اخرى فكان حالهم حال الطير المذبوح الذي تعيث به ايادي الاطفال.. (وكما عبر عنه الشاعر الكوردي احمد بك في احدى قصائده في اوائل العشرينات من القرن الماضي).. اى تلاقفتهم الايادي من مستعمر الى مستعمر تارة باسم الدين وتارة باسم التمدين.. وهكذا تم تكريس تبعية وتجاهل حقوق السكان الغير العرب مرة اخرى بدءا من اقوام شمال افريقيا غربا وانتهاءا بالكورد في اقصى الشرق.. وذلك بالتعاون بين المستعمر والقوميين العرب وممثلهم من الملوك والرؤساء الذين نصبتهم قوات المستعمر اداة طيعة لتسهيل سيطرته على هذه البلدان.. واصبح قدر هذه الامم الغير عربية والغير مسلمة ان تكون اسيرة بيد القومية العربية المسلمة (والسنية على الاغلب).. لفترة اخرى من الزمن.. واصبحت شعارات الاخاء في الدين او الوطن او المساواة.. والذي لم يكن في السابق الا مجرد كلام جامد مكتوب في القرآن والاحاديث النبوية.. اصبحت صيغة ممجوجة ومكررة ولكن باسلوب آخر.. وبالاخص في الاتفاقيات او الدساتير المكتوبة لاحقا.. والذين يجمعهما عامل مشترك واحد كونهما غير مقروئين وغير مطبقين حتى باسبط اشكالها ومفاهيمها.. كما لم تجد الكثير من النصوص حظها في التطبيق ابان الحكم الاسلامي رغم ورودها في الآيات القرآنية ونصوص الاحاديث المحمدية.. وعلى سبيل المثال لا الحصر ما ورد في سورة الروم ("ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين").. ("يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا.. إن أكرمكم عند الله أتقاكم").

("المسلم اخو المسلم.. ان احسنكم عند الله اتقاكم. "ولا فرق بين عربى وعجمى الا بالتقوى")... الخ

وكذلك فان ما جاءت بها دساتير اغلب الدول (العربية) الحديثة من الكلام المزوق والمنمق عن العدالة والمساواة والحقوق لمواطنيه.. وبالاخص الغير العرب او الغير المسلمين وفي بعض الاحيان الغير السنة.. لم تكن تطبيقيا باحسن حال من سابقتها من النصوص والاحاديث والسيرة وغيرها.. والتي هي في واقع الحال واجبات وقيود مفروضة من دون حقوق واضحة لها.. اى تم تبديل الجزية المفروضة سابقا بواجبات المواطن لاحقا.. وبالتركيز على تجاهل وانكار الانتماء القومى والدينى والمذهبي لهذه الشعوب.. او الحرمان الكامل من حقوق المواطنة الحقيقية الموصوفة فى هذه الدساتير.. والمغيبية والمطمورة تحت خيمة ومظلة الوطن الواحد والشعب الواحد او الامة العربية الواحدة من المحيط الى الخليج!

وفى المسافة الزمنية بين الحريين الكونيين.. وما شهدتها المنطقة من صراعات واحداث دموية فى مسيرة الكفاح من اجل انتهاء الاستعمار العثمانى والتكيف مع الاستعمار الاوروبى.. والتي افرزت من ضمن ما افرزت بروز الدول القومية العربية (المستقلة).. وعلى رأسها ملوك نصيبهم المستعمر او رؤساء امتطوا الدبابات واختطفوا مقاليد الحكم تحت يافطة الشعارات القومية البراقة من محاربة الاستعمار والصهيونية.. والتي امعنت بدورها فى ابتداع طرق جديدة فى اضطهاد هذه الشعوب والامم والطوائف باسم الوطنية.. والشعب الواحد الموحد مجتمعة تحت راية منظمة عنصرية مشلولة اسمها جامعة الدول العربية التى يوحى اسمها بمضمونها.. التى تؤسس لسيادة امة العرب على كل امم المنطقة بحجة الاكثرية.. والاستحقاق التاريخى والدينى وكونها خير امة اخرجت للناس وبلا منازع.. فى عصر اصبح للفرد الواحد بل وحتى للحيوانات حقوقا تحفظ كينونتها وتحافظ على حقها فى البقاء والتطور والعيش بكرامة وحرية.

لو استعرضنا واقع وتاريخ الشعوب والامم والاديان الغير العربية والغير المسلمة.. بل وحتى الغير السنية فى منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقية.. لنجد مدى الاجحاف والظلم التاريخى الذى لحق بهم.. نتيجة سيادة العقليّة العروبية الاسلاموية طوال هذه القرون.

\*\*\*\* بدءا من اقصى شمال افريقيا حيث شعب (الامازيغ) والذى يعنى (الانسان الجميل والحر).. والذين يروق لبعض المتجاهلين ان يطلق عليهم اسم البربر ظلما.. (حيث ان تسميتهم بالبربر جاءت على لسان الرومان نتيجة مقاومتهم الباسلة للغزو الرومانى.. وتمردهم ورفضهم الانصياع لسلطان امبراطوريتهم وجبروتها).. وهم السكان الاصليون لشمال افريقيا ولهم لغتهم الخاصة بهم وعاداتهم وتقاليدهم الافريقية الاصلية.. وتراثهم الثرى والمتوغل فى العمق التاريخى لآلاف السنين.. الشعب الذى ترك بصمات حضارته على مجمل الحضارة الافريقية الشمالية منذ عهود الفراعنة وقبليها.. وحينما جاء الاسلام فى القرن السابع الميلادى وقعت كغيرها من الشعوب تحت وطأة الاحتلال الاسلامى مكرها مضطرا.. وكان نصيب دينه الوثنى وحضارته وتراثه الثرى الزوال والانداج فيما سمي بالحضارة العربية الاسلامية.. واختفت لغتها ايضا فى خضم سيادة لغة اهل الجنة.. وفقدت ابجديتها (التيفناخ) قيمتها واصالتها ودرجت فى طى النسيان.. حالها حال تراث وقيم كل الشعوب التى ابتلت بالاحتلال العربى الاسلامى.. وعلى الرغم ان شعب الامازيغ وقادته كانوا من اوائل الذين حاربوا الاستعمار الفرنسى.. ومن مؤسسى جبهة التحرير الجزائرية والحركات المناهضة للاستعمار الاجنبى فى المغرب والجزائر وليبيا وتونس.. من أمثال (ديدوش مراد.. كريم بلقاسم.. وحسين آيت احمد.. وغيرهم) إلا ان ثمار جهودهم وكفاحهم البطولى كان يصب فى طاحونة الاتجاهات العروبية والاسلامية التى قفزت على نضالاتهم القومية الامازيغية.. والنتيجة كانت ولا تزال.. تجاهل الحقوق القومية والثقافية.. ولصالح حملات التعريب الثقافى والسياسى ايضا.. رغم ان الامازيغ يشكلون اكثر من ٦٠% من سكان شمال افريقيا التى تعرف بالمغرب العربى.. ونفوسهم تتراوح بين ٢٠ الى ٢٥ مليون نسمة.. وهم لا يزالون محسوبين على القومية العربية الاقل عددا.. والاحداث تواجدا فى المنطقة.. ومحرومين من ابسط الحقوق السياسية والادارية والثقافية.

\*\*\*\*\* وفى مصر الذى يشكل فيه الاقباط ١٥% من مجموع السكان أى ١٠ الى ١٥ مليون نسمة.. والذين هم السكان الاصليين لشعب وادى النيل.. وهم الامتداد العرقى والتواصل الحضارى لسلالة الشعب المصرى القديم..وممن تبقى من المسيحيين الاصليين فى مصر.. والذين كانوا يسمون (ايجيبتوس) باليونانية.. والتي منها اشتقت اسم مصر (ايجيبت).

ومنذ أن دخل عمرو بن العاص مصر التي كانت مسيحية في ذلك الوقت.. أصبح الاضطهاد لمن بقي من أقباطها على دينه.. هو السياسة الرسمية للدولة المصرية.. قديمة وحديثة.. ان اضطهاد (الموالي) الغير العرب قد بدأ ببداية الفتوحات في ايام الخلفاء الراشدين.. فعندما فتحوا مصر وغيرها من بلاد الحضر كان اهلها يحترفون الزراعة فاسموا اهلها (بالعلاج)! لان العرب كانوا يحترقون الاعمال اليدوية (كامل النجار - الدولة الاسلامية بين النظرية والتطبيق).. وحديثا فقد أفتى أبو الأعلى المودودي والذي يعد مرجعا هاما للتيار المتشدد يقول في كتابه **حقوق أهل الذمة في الفقه الإسلامي** (المقصود بهم الاقباط المسيحيين) "لا يحق لهم.. أى أهل الذمة.. ان يتولوا عضوية مجلس الشورى.. أو أن يشتركوا في انتخاب الرجال لهذه المناصب".. ويقول أيضا بناء على هذا المبدأ وفي نفس الكتاب: "قد أستثنى أهل الذمة من الخدمة العسكرية.. وجعل الدفاع عن الوطن الإسلامي من واجب المسلمين وحدهم.. وذلك لأن الدولة التي تقوم على مبدأ.. لا يقاتل من ورائها ولا ينبغي أن يقاتل.. إلا الذين يؤمنون بصدق ذلك المبدأ"

وعلى الرغم من ان الاقباط شاركوا في الحركة الوطنية المصرية بنشاط وفعالية ضد الاحتلال الانجليزي.. وكان السكرتير العام لحزب الوفد المصري (مكرم عبيد) من ابرز الأقباط الذين شاركوا في الحركة السياسية المصرية.. كما ان البابا (البابا كيرلس الخامس) من اوائل المؤيدين لثورة عرابي.. مما دفع بسطات الاحتلال الى خلعه ونفيه.. وحتى بعد تولى الضباط الاحرار مقاليد السلطة السياسية بعد الاطاحة بحكم الملك فاروق.. فانه لم يتغير الواقع المأساوي للاقباط.. ان لم تكن قد ساءت أحوالهم اكثر بسبب الموقف العربي والاسلامي.. الذي كان يسود تركيبة الضباط الاحرار.. ويتحكم في تصرفاتها وسياساتها.

فالأقباط في مصر لا يحق لهم تولى المناصب الرئاسية في المؤسسات الحكومية.. حتى لا يكونوا في موقف يجعلهم أعلى من الموظفين المسلمين!. والمادة الثانية من الدستور المصري تنص على أن رئيس الجمهورية يجب أن يكون مسلما.. وهناك عشرة شروط ("**الشروط العشرة للعزبي باشا** وكيل وزارة الداخلية سابقا") لبناء الكنائس بمصر.. والأقباط ممنوعون من دخول جامعة الأزهر (الدراسات العلمية) الممولة من ميزانية الدولة.. في الوقت الذي تعطى فيه المنح المجانية لأي مسلم من أي دولة في العالم.. وهناك الجماعات الإسلامية التي استولت أموال الأقباط.. حسب فتوى الشيخ عبد الرحمن ("المسجون حاليا في أمريكا").. اما الاعتداءات على الأقباط ورموزهم الدينية.. واماكن العبادة والكنائس القبطية فهي عملية مستمرة.. وانباءها ملأت اعمدة الصحف اليومية في مصر.. وبعد كل هذا يطلع علينا.. من وقت لآخر.. من يدعى أن النبي قال: "استوصوا بالقبط خيرا فإن لكم فيهم نسيا وصهرا".. وكذلك قولهم: إن النبي أوصى بكل أهل الذمة والمعاهدين فقال: ("من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة").. كلام منمق ضل اسير الكتب والادعاءات الفارغة!..

ومعاملة الأقباط في مصر تنطبق على معاملة الأقليات الغير مسلمة في كل البلاد الإسلامية.

\*\*\*\*\*  
وإذا ما انحدرتنا قليلا نحو الجنوب.. الى السودان.. نجد حالة مشابهة مع السكان الغير المسلمين والغير العرب في جنوب وغرب السودان.... حيث الاكثريّة المسيحية والقبائل الافريقية الاصلية (ان ٦٠% من سكان السودان هم غير مسلمين وغير عرب).. حيث تمت محاولات حثيثة منذ دخول الاسلام الى مصر والسودان في احتوائهم واضطهادهم.. بل وشن حروب ابادة منظمة لاستأصالهم كما حدث مع قبائل (المساليت. فور. الزغادة) في اقليم دارفور.. وكما حدث مع جنوب السودان المسيحي.. والذي لولا نضال الحركة الشعبية لتحرير السودان المسلح.. ومساندة المجتمع الدولي الديمقراطي.. لكان مصيرهم نفس مصير الآلاف من سكان دارفور الذين ابعدوا واغتصبت نسائهم على ايدي (الجنجويد.. الفرسان ذو الملابس البيض).. وهم كما يسمون في كوردستان العراق (الجحوش).. الذين سلحتهم الحكومة المركزية السودانية لبث الرعب في ان انفس السكان.. لاجبارهم على ترك اراضي آبائهم واجدادهم.. تماما كما جرت في عمليات (الانفال) السيئة الصيت في كوردستان العراق.

وإذا عبرنا البحر شرقا نحو بلاد الشام والعراق.. نجد ان حال الشعوب الغير العربية مثل الكورد والسرمان والارمن.. والاقليات الدينية كاليزيديين والصابئة في العراق وسوريا.. والشيعية في العراق.. ودول الخليج والجزيرة.. لم تكن بافضل من مثيلاتها في الجهة المقابلة من البحر.. رغم ان اغلب هذه الشعوب قد استوطنت هذه الاصقاع لآلاف السنين.. وحتى قبل الهجرات العربية اليها.

ففى سوريا والتي الصقت بها لفظة العربية.. تم حرمان الملايين من الكورد والسريان والارمن من حقوق المواطنة.. وتم حتى حرمانهم من منح الجنسية السورية.. وهم محرومون من التوظيف والدراسة.. ويتم ترحيلهم من مواطنهم فيما يسمى بسياسة الحزام العربى العنصرى.. رغم انهم استوطنوا هذا البلد قبل الوجود العربى فيه بألاف السنين.

اما فى العراق فان ما جرى للكورد من حملات ابادة وتطهير عرقى.. وباساليب يندى لها جبين الانسانية.. حيث ان جرائم الانفال والقصف الوحشى لمدينة حلبجة.. وجرائم ترحيل وقتل الكورد الفيليين.. تعدّ من اكبر جرائم العصر قاطبة.. واما تهمة اضهاد الاكثريّة الشيعية فى العراق ولعقود طويلة.. فهو بحد ذاته دليل على ان الاقليّة المتسلطة باسم المذهب او القومية.. لا تتوانى عن ابادة الاكثريّة من ابناء جلدتها ايضا فى غياب الاساليب الديمقراطية فى الحكم.. وواقع الاقليّة الشيعية فى الجزيرة العربية والخليج ليست بافضل من سابقتها.. فهى ايضا بحاجة الى المزيد من تسليط الاضواء والبحث.. نظرا للحملات التشويهية تجاههم واعتبارهم غرباء ووافدين واجانب!

مما تقدم يظهر جليا حجم المعاناة التى عاشتها ولا يزال تلکم الاقوام والاديان التى ساقها حظها العاثر ان تجاور العرب.. او ان تحتل من قبل الحكم الاسلامى العربى فى مسيرة التأريخ الدموى لهذه الحضارة.. التى سميت بالحضارة العربية الاسلامية.. ولو تم اجراء احصاء دقيق لهذه الاقوام والاديان بدءاً المنطقة المحصورة بين ضفاف الاطلسى الى تخوم الهندى.. لنجد انهم يؤلفون اكثر من ٤٠% من سكانها.. وهم محرومون من حقوقهم السياسية والثقافية والاجتماعية وما يتبعها من آثار اقتصادية وتنموية وبامتياز.

والآن ونحن نعيش فى عصر باتت الدول الديمقراطية ومنظمة الامم المتحدة تعمل جاهدة من اجل ازالة الغم والهم من واقع المظلومين تاريخيا.. الم يحن الاوان لهذه الشعوب والاقليات ان ترفع صوتها عاليا وتخرج قضاياها ومظالمها الى العلن.. وتحرر قضاياها من الاطارات الوطنية الى المحافل الدولية.. وعدم اعتبار قضاياهم امور داخلية تخص (سيادة) هذه البلدان التى يعيشون فيها.. بل كونها انتهاكات لحقوق الانسان واعتداءات على كرامته وحرية.. اولى مفترضا ان تتحرك احزابها ومنظماتها نحو تأسيس منظمة اقليمية على غرار منظمة (جامعة الدول العربية) للدفاع عن حقوقها ومصالحها؟! وتكون منظماتهم عضوة فى هيئة الامم المتحدة.. وتطالبها وبالبحاح على اجبار هذه الدول التى تتواجد فيها.. بتبديل دساتيرها التى فيها بنود صارخة تتعارض مع لائحة حقوق الانسان التى اقرت من قبل الامم المتحدة.. تماما كما فعلت وتفضل كل الدول التى انضمت الى الاتحاد الاوروبى.. كشرط اساسى للقبول بمعاييرها وقياساتها.. وتحاول ايضا تأسيس مقرات اقليمية فى المناطق التى تتمتع بقدر من الحرية والاستقلال.. مثل كوردستان العراق وجنوب السودان.. لتستطيع ان تعرض قضاياها للرأى العالمى من دون ضغوط واملاءات.

فالى العمل الجاد من اجل تأسيس منظمة الشعوب المظلومة فى الشرق الاوسط وشمال افريقيا.. ولتحتل هذه المنظمة مكانها البارز فى مشروع الشرق الاوسط الكبير.. الذى يرمى الى تحرير كل المضطهدين من نير الاضطهاد القومى والدينى والعرقى والجنسى فى هذه المنطقة الموبوءة بالافكار والحكام الشموليين والدكتاتوريين. فاذا كان القرن العشرون قد شهد عصر استلاب كل هذه الشعوب.. فليكن هذا القرن هو عصر تحريرها وعتقها وتمتعها بحقوقها المشروعة.. والمؤكد ان قدر هذه الشعوب المضطهدة فيما اذا استطاعت ان تتحرر.. فانها ستحرر معها حتى الفكر الاسلامى والعروبى من الاوهام التى اساعت اليه.. وتم استغلالها باساليب بشعة على مرّ العهود والعصور.. مثل ("خير امة اخرجت للناس.. والامة العربية العظيمة ذات الرسالة الخالدة.. ان الله اعزّ الاسلام بالعرب").. وإلى غير ذلك من الأوهام والتخيلات.. التى لم تعد تتناسب مع التطور الإنسانى وعصر الشعوب.

المرجع: [http://www.wattan4all.org/wesima\\_articles/articles-20051115-7075.html](http://www.wattan4all.org/wesima_articles/articles-20051115-7075.html)